

سلسلة الرسائل (١٢)

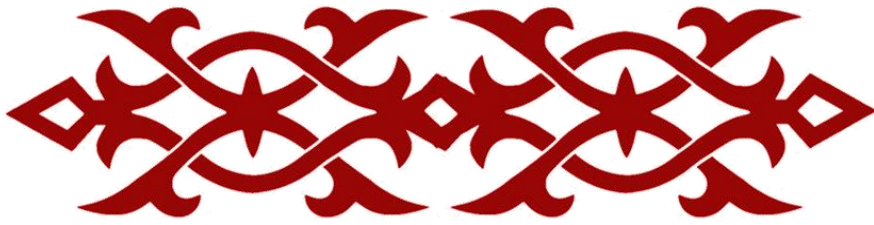


مكة حرسها الله تعالى / ١٤٤٧ هـ

اللبنة الحطبية

للشيخة أمّ عبد الله بنت الشيخ
مُقْبِلِ بْنِ هَادِي الوَادِعِيِّ
حفظها الله تعالى





روابط الشبخة عبر منصات التواصل

-  <https://alwadei967.blogspot.com>
-  <https://t.me/alwad3ya>
-  <https://t.me/alwadeia2>
-  <https://whatsapp.com/channel/0029VaaQ6kF9Bb5seBKp2B18>
-  <https://chat.whatsapp.com/JxvDfXpwWyHBLyRjEOPpS>



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

يقول ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾** [النحل: ٩٧]، في هذه الآية الكريمة إشارة بالحياة الطيبة لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح، فمن كان مؤمناً يعمل الصالحات فليبشر بالحياة الطيبة، ويبشر بالجزاء الحسن والثوبة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. ولا بُد من مجموع هذين الأمرين لنيل الحياة الطيبة:

الإيمان **﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾** [الفتح: ١٣]، فلا يصح منه أي عمل، لا بد من شرط الإيمان، ويقول الله **عَزَّجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾** [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا**

أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ [التوبة: ٥٤].

والأمر الثاني لمن أراد الحياة الطيبة السعيدة: العمل الصالح من الواجبات
والنوافل واجتناب المنهيات، الفرض والنفل.

ويقول ربنا عزَّجَل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِمْ هَذِهِ
حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:
١٠]، نداء من الله للمؤمنين والمؤمنات بتقواه، بطاعته، باجتناص معاصيه،
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ}، حسنة في نفسه، في قلبه، في حياته، في رزقه،
في ولده هذا في الدنيا، ﴿وَلَا تُجْرُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل:
٤١].

أي: أجر الآخرة أعظم، هذا وعد من الله سبحانه، والله لا يخلف وعده، قال ربنا
عزوجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

[الزمر: ٧٣-٧٤]، تسلم عليهم الملائكة ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ﴾ وتبشرهم بالحياة الطيبة، وبالخلود في الجنة، وحينئذ يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤]، إنه وعد الله الذي لا يخلف، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، فلا أحد أصدق من الله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، وقد وعدنا بالحياة الطيبة، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، ومن اسم استفهام، ومعناه النفي أي: لا أحد أوفى بعهده من الله^(١).

فالله سبحانه وَعَدَّنَا بالحياة الطيبة إِنْ وَفَّيْنَا وَعَمَلْنَا بالشرطين: الإيثار، والعمل الصالح، فالجزاء الجنة التي هي بغية كل مؤمن ومؤمنة ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعَدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾﴾ [مريم: ٦١]، وأتى سُبْحَانَهُ

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط في التفسير» (٧/٤): ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، هذا استفهام معناه النفي، التقدير: لا أحد أصدق من الله حديثًا.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح العقيدة الواسطية» (٣٧٢/١): وإتيان النفي بصيغة الاستفهام أبلغ من إتيان النفي مجردًا؛ لأنه يكون بالاستفهام مشربًا معنى التحدي، كأنه يقول: لا أحد أصدق من الله حديثًا، وإذا كنت تزعم خلاف ذلك؛ فمن أصدق من الله؟

باسم الرحمن لمناسبته هذا المقام؛ فإن الجنة رحمة، الجنة هي من رحمة الله سبحانه،
 ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أُبْيَضَّتْ
 وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

ودلّ هذا أن الوجوه يوم القيامة على قسمين: وجوه بيضاء، ووجوه سوداء،
 فأصحاب الحياة الطيبة وجوههم بيض، وأما الكفار فوجوههم سود، وجزاءهم
 النار، نعوذ بالله من النار.

ثم قال: ﴿عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ يعني بعباده هنا أهل العبودية الخاصة أهل التوحيد،
 {بالغيب} بما غاب عن أعينهم؛ إذ أنهم لم يشاهدوا الجنة ولم يروها.

فالحياة الطيبة الحياة السعيدة هي لمن أقبل على الله سبحانه وتعالى وتمسك بدينه،
 واستقام على شرعه، ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾
 [آل عمران: ١٠١].

فعلينا أن نؤمن بما وعدنا الله سبحانه وتعالى، وأن نكون على يقين ﴿وَنَادَى
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ

مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

﴿٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤].

فالجنة دائماً اسعي لها؛ وذلك بالحياة الطيبة، وقد ثبت في «الصحیح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذَّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ له.

وقوله: «سيارة»، أي: ملائكة سياحين في الأرض، «فضلاً» زائدين على الحفظة، يتبعون مجالس الذكر، إذا رأوا مجالس ذكر حَفَّ بعضهم بعضاً، وأحاط بعضهم ببعض، «فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ» أي: كثير الذنوب، ولكن ببركة مجلس الذكر وأهله نال مغفرة ذنوبه، والبركة من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وبأي شيء نالوا الجنة وأجارهم الله من النار؟ إنه بسبب الحياة الطيبة.

هذه الحياة الطيبة يفقدها من لا يؤمن بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فليس له حياة طيبة، وليس له عيش هنيء، حتى ولو كان من الأثرياء والأغنياء ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، كأنه يكلف أن يصعد إلى السماء؛ لكفره، فهو في حرج وضيق.

قال ابن القيم في «الجواب الكافي» (١٩٧): فَأَيُّ نَعِيمٍ أَطْيَبُ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ؟
وَأَيُّ عَذَابٍ أَمْرٌ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ؟

إن الحياة الطيبة يغلط في فهمها كثير من الناس، ويظنون أن المراد بها التلذذ بالمآكل والمشرب والملابس الفاخرة وغير ذلك من الشهوات، وإنما المراد:

الإيمان والعمل الصالح، أما ملذات الدنيا وشهواتها فيشترك فيها المؤمن والكافر، بل حتى الحيوانات.

إن الحياة الطيبة كل مؤمنة تريدها، وتبتغيها، ولكنها ليست بالأمني.

فاحدي الله أيتها المؤمنة، واحرصي على أسباب الحياة الطيبة.

وافهمي المراد بالحياة الطيبة؛ لتسعي لها، فإنه قد ضعف السعي للحياة الطيبة لأمرين:

ضعف الإيمان، قال ربنا **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

فاسعي لما يقوي إيمانك ويزيده؛ فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقوي إيمانك بالعبادة، بالطاعة، بذكر الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بما يقربك إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**؛ لتتالي الحياة الطيبة.

الأمر الثاني: الغفلة، الغفلة خيمت على القلوب وأفسدتها، وأنست السعي للحياة الطيبة، فانقلبت الحقائق، وتغيرت المفاهيم، وصاروا يُهرعون إلى حياة فانية زائلة، وربنا **عَزَّوَجَلَّ** يقول: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ

﴿١﴾ [الأنبياء: ١]، فاحذري من الغفلة عن منافعك، عن مصالحك، عما يقربك إلى ربك؛ لتكوني من المفلحين الناجحين؛ لتتالي الحياة الطيبة (٢).

وقد اختلفوا في تفسير الحياة الطيبة، قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢٤٣/٣): وَقَدْ فَسَّرَتِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا، وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالصَّوَابُ: أَنَّهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَنَعِيمُهُ، وَبَهْجَتُهُ وَسُرُورُهُ بِالْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبَ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِهَا، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِ إِلَّا نَعِيمَ الْجَنَّةِ.

وقال ابن كثير في تفسير سورة النحل رقم الآية (٩٧): هَذَا وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ عَمَلَ صَالِحًا - وَهُوَ الْعَمَلُ الْمُتَابِعُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ - مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَلْبُهُ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ الْمَأْمُورَ بِهِ مَشْرُوعٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَأَنْ يُجْزِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ فَسَّرُوهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ.

(٢) ذكر هذين الأمرين ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢٦٥/٣).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّهُ فَسَّرَهَا بِالقَنَاعَةِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ،
وَعِكْرَمَةَ، وَوَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا السَّعَادَةُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ حَيَاةٌ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ، وَالْعِبَادَةُ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: هِيَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنْشِرَاحُ بِهَا.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ تَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ.

وقال السعدي في «تفسيره» (٤٤٨): وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب، {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} في الآخرة {أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة.

وقال ابن عثيمين في «مجموع الفتاوى» (٢٦/٢٩): الحياة الطيبة هي انشراح الصدر وطمأنينة القلب، حتى ولو كان الإنسان في أشد بؤس، فإنه مطمئن القلب منشراح الصدر. اهـ.

فهذه المعاني كلها تشملها الحياة الطيبة.

ومن فسرها بالرضا.

فالمراد أن يكون الإنسان راضياً بما كتب له ربه، مؤمناً بقدر الله **عَزَّوَجَلَّ** خيره وشره، كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». فهذا من الحياة الطيبة أن يكون المؤمن مؤمناً بقضاء الله وقدره، خيراً وشرها، حلوها ومرها، نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرزقنا الإيمان بالقدر؛ فهو راحة وطمأنينة.

ومن فسرها بالرزق الحسن الحلال الطيب، فلا بد من الرزق الطيب أن يكون حلالاً، ولا يكون من مكاسب محرمة، لا يأخذه من غير حقه، نبينا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري (٣١١٨) عَنْ حَوْلَةِ الْأَنْصَارِيِّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**.

وهذه تفاسير ببعض أفراد الكلمة؛ ولهذا بعد أن ذكر الأقوال الحافظ ابن كثير **رَحْمَةُ اللهِ** قال: **وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ تَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ.**

ومما استدل به **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى بقول نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» رواه الإمام مسلم (١٠٥٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ.

«وَرُزِقَ كَفَافًا» من المال الطيب وما يكفيه ويدفع حاجاته.

والمراد الرزق الحلال؛ لأن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مدح هذا الصنف، وأثبت له الفلاح والنور.

فهذا من الحياة الطيبة، بخلاف الذين يكتسبون المكاسب المحرمة، كمكاسب الخمر والربا والرشوات وأمثال ذلك، هذا من الحياة السيئة، وليس من الحياة الطيبة، وقد روى الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٢٨) عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». وذكره الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٣١٨)، وله شواهد.

يعني: هذه نعم عظيمة، فثلاث من النعم: العافية، والأمان من نعم الله **سُبْحَانَهُ**، واحرصي على الأمان المطلق في الدنيا والآخرة، فإن الله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

[الأنعام: ٨٢]، اجتنبي الشرك بالله، حققي توحيد الله سبحانه؛ لتكوني من الآمنين في الدنيا والآخرة، ويوم الآخرة يوم المخاوف والفرع ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]. والخصلة الثالثة: «عنده قوت يومه»، هذا «كأنها حيزت له الدنيا بحذاقها» من جميع أطرافها، هذا لو رزقنا-يا أخوات-القناعة، أما والقلوب تتلهف، والأفئدة تتفتت على حطام الدنيا وزخارفها، فهذا يُنقصها من الحياة الطيبة، وينقصها من الراحة الشيء الكثير، فرزق القناعة نعمة من الله سبحانه وتعالى.

ويدخل في الحياة الطيبة-أختي في الله-ذكر الله سبحانه، والمداومة على ذلك، فكوني كثيرة الذكر لله سبحانه وتعالى في مشيك، في جلوسك، في قيامك، في خروجك ودخولك اذكري الله سبحانه وتعالى، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، فهذا من الحياة الطيبة، وما أيسر الذكر على اللسان لمن وفق، يكون يسيرًا يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أينما كان، حتى وهو في الطريق يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ حتى يعلو إيمانه، وينشرح صدره، ويترطب لسانه، وينال الحياة الطيبة ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ

تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥]، أي: أعظم، ويقول سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي
 أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فهذا من الحياة
 الطيبة.

إننا إذا كنا مع الله سبحانه، حريصين على طاعته مهما تكالبت الأمور فالحياة الطيبة
 في قلوبنا، قال ابن القيم في «الوابل الصيب» (٤٨) في شيخه شيخ الإسلام: وعلم
 الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف
 الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو
 مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرههم نفسًا،
 تلوح نضرة النعيم على وجهه.

فشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يترجم له تلميذه ابن القيم بهذه الترجمة
 الموجزة المختصرة، فهو مع ما هو فيه من ضيق العيش، وضيق السجن، ولكنه
 هنا عيشًا وأهدأ بالًا، وعلى وجهه النضرة والسرور، يعني: ليس على وجهه
 الكآبة؛ لقوة إيمانه، مع أنه في السجن، والسجن كآبة وضيق، ولكن لأن عنده
 الحياة الطيبة؛ فهو مؤمن بقضاء الله وقدره.

وإن من الحياة الطيبة: استغلال الأوقات واستثمارها في الخير، وكم تضع من أوقات؟! فاحذري -أختي في الله- فإن الله عَزَّجَلَّ سائلنا عن أوقاتنا، ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، ومن أعظم نعم الله سبحانه نعمة الأوقات، هذه نعمة استغلي وقتك بالخير، ولا تضيّعك الجوالات، ولا الخروج والدخول هنا وهنا، وفي اللقاءات والزيارات؛ فإن كثرتها مضيعة للأوقات، ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم (٢٦٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هذا من مفاهيم الحياة الطيبة، إنها حياة تفوق راحة أهل الغنى والثرى، إنها نعيم القلب، فلا تذهبي بعيداً؛ فإن هناك من يظن أن الحياة الطيبة في شهوات الدنيا وملذاتها، في حطام الدنيا وزخارفها، وهذا ليس بصحيح، ليس هذا هو المعيار عند الله عَزَّجَلَّ، فتقربي إلى الله بطاعته، تقربي إلى الله سبحانه بتقواه؛ لتتالي الحياة الطيبة.

واحرصى على العلم النافع: علم الكتاب والسنة فإنه من الحياة الطيبة، ولا تلهيك المغريات والشواغل عن طلب العلم، عن حفظ القرآن الكريم، عن

تلاوة كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، عن التفقه في دين الله **سُبْحَانَهُ**، نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم (٢٦٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

فإذا كنتِ في حفظ آيات من القرآن، أو حفظ شيء من الأحاديث النبوية فأنت في طريق الجنة، إذا جلست في حلقة علم، أو مجلس ذكر فأنت في طريق الجنة، إذا كنتِ في مذاكرة علمية فأنت في طريق الجنة، إذا كنتِ في مطالعة الكتب النافعة فأنت في طريق الجنة، وهذا من الحياة الطيبة، بل من أعظم أنواع الحياة الطيبة؛ لأنه لا حياة إلا بالعلم النافع، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فالعلم حياة القلوب، العلم يطهر القلوب من الأمراض، ويرفع الجهل، فتفقه في دين الله، وأخلصي عملك لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وجاهدي الشيطان فإنه حريص على إفساد الإرادات

والنيات، والإرادات والنيات كما يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: بحر لا ساحل له.
يعني: واسعة.

فهذا من الحياة الطيبة أن تعمري وقتك بتلاوة كتاب الله، بتعلم كتاب ربك وسنة نبيك محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ومن الحياة الطيبة: جَمْعُ الْفِكْرِ، وعدم تشتت الذهن والأفكار؛ ولهذا سبق في تفسير الإمام السعدي للحياة الطيبة: وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، فاللهم لطفك!

فهنيئاً لمن سعيها دائماً في نيل الحياة الطيبة، والفوز بالجنة التي وعدنا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إياها؛ وبذلك يجمع الله **عَزَّجَلَّ** لها بين الخير الآجل والعاجل.

فأقبلي على الله، واحذري الشواغل، وفتنة الدنيا وحطامها الفاني، واستقيمي كما أمرك الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا

إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ [هود: ١١٢]، ولا تعرضي عن دينك، ﴿وَمَنْ

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا

فَنَسِيَّتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ بَجَزَى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ * [طه: ١٢٤-١٢٧].

فالحياة الطيبة يتنافس فيها المتنافسون، ويعمل لمثلها العاملون.

أسأل الله ■ أن يرزقنا وأخواتنا الحياة الطيبة، وأن يعيدنا وإياكن من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأل الله أن ينفعنا جميعاً بما قلنا وبما سمعنا .

والحمد لله رب العالمين .



تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم الخميس الموافق ٧ / من شهر ذي الحجة / العام ١٤٤٧ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.